

المحاضرة الثانية: مفهوم النظرية

تمهيد:

يرى العديد من المفكرين أن النظرية هي الأساس العلمي لفهم العالم واستكشافه. وهي أيضا انعكاس لرؤية العالم حول ظاهرة ما. يقدمها في شكل أفكار وتفسيرات منطقية توضح وتشرح أسباب وكيفيات حدوث الظاهرة، وهذا بعد القيام بعمليات المراقبة والتقصي والتحليل لمختلف العوامل والعلاقات التي تربط بين العناصر المكونة لهذه الظاهرة. إذا فإن دراسة النظريات تساعدنا على فهم أعمق لما يحدث في الواقع المعاش. وهو الأمر الذي يساعدنا بدوره على اتخاذ القرارات المناسبة من أجل التعامل الأمثل مع الظواهر المختلفة سواء أكانت:

- **ظواهر الطبيعية:** مثل الزلازل، والبراكين، والأعاصير، وغيرها من الظواهر.
- **ظواهر فيزيائية:** مثل الجاذبية وانكسار الضوء وانعكاسه.
- **ظواهر كيميائية:** مثل الظواهر التي تشمل التفاعلات والتحويلات الكيميائية المختلفة.
- **ظواهر بيئية:** والتي تشمل الأحداث والتحويلات المتعلقة بالكائنات الحية في الطبيعة بشكل عام.
- **ظواهر اقتصادية:** وتشمل الأزمات التي تحدث بسبب انخفاض معدلات الإنتاج والاستهلاك، أو تراجع النشاط الاقتصادي وارتفاع معدلات البطالة، مما يتسبب في تدهور الوضع المالي لدى الأفراد والشركات.
- **ظواهر اجتماعية:** وتشمل السلوكيات الغير مألوفة أو الغريبة التي تظهر في المجتمعات، والتي تتنافى وتتعارض، مع وثقافة الأفراد المعتقدات والعادات والأعراف والاجتماعية.

- **ظواهر انسانية:** وتتمثل في التحولات والتغيرات التي طرأت على أنماط التفاعلات الانسانية وعمليات التواصل بين البشر، والتي ازدادت تنوعا وتعقيدا خاصة بعد تدخل عوامل مؤثرة في حياتنا اليومية لاسيما منها تقنيان وسائل الإعلام والاتصال.
- **ظواهر سياسية:** وتشمل تلك الأحداث والصراعات والنزاعات السياسية.

تعريف النظرية:

لغة:

إن مصطلح النظرية مشتق من كلمة النظر الذي يحمل دلالة ومعنى التأمل العقلي حيث تُعرف النظرية في معجم لسان العرب لابن منظور على أنها ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم (فظاهرة عصابات الأحياء في معلومها هو تكون جماعات للقيام بأعمال إجرامية في الأحياء الشعبية وهو الأمر المعلوم. أما ما تم استعلامه هو أن هذه الظاهرة أصبحت ظاهرة عالمية بدأت في الانتشار ومن أسبابها الفقر وتدني المستوى التعليمي وتعاطي المخدرات بالإضافة إلى التأثير بثقافات أجنبية).

أما المعجم الفلسفي التّقني والنّقدي (Vocabulaire Technique et Critique de la Philosophie) للفيلسوف الفرنسي "لالاند" (André Lalande) والذي ألفه سنة 1926 فيعرف النظرية على أنها إنشاء تأملي للفكر يربط النتائج بالمبادئ ويقصد "لالاند" هنا بالمبادئ الفرضيات التي هي أحد أسس وركائز النظرية والتي سنتعرف عليها لاحقا.

اصطلاحاً:

ويرى "موريس أنجرس" (Maurice Ingres) في مؤلفه منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية بأن النظرية هي اقرار حقيقي لوجود علاقة ما بين المتغيرات¹ (والمقصود بالمتغير هو تلك الحالة القابلة للقياس. بينما يرى محمد عبد الحميد في كتابه البحث العلمي في الدراسات الإعلامية أن النظرية (Theory) هي تحديد نهائي للعلاقة بين الحقائق والمتغيرات، مما يقدم تفسيراً للظاهرة².

التعريف الإجرائي:

النظرية هي إطار فكري يمثل تفسيراً علمياً قائم على أساس منهجي لظاهرة ما أو لمجموعة من الظواهر والحقائق الطبيعية. وتبنى النظرية على مجموعة من الدلائل والتفسيرات المبنية على مجموعة من الأفكار المنطقية والمنظمة، التي تساعد على معرفة وفهم أسباب حدوث الظواهر محل الدراسة.

شروط تكون وتشكل النظرية العلمية:

1. **المعرفة العلمية:** وتمثل المعرفة العلمية أعلى مستويات المعرفة والفهم وتعتمد على مبادئ ومفاهيم علمية قائمة على البراهين والأدلة. وهي نوع من المعرفة التي تتميز بالدقة والمنهجية في جمع المعلومات وتحليلها. مما يساعد على تقديم تفسيرات دقيقة للظواهر المدروسة.

2. **الملاحظة الدقيقة:** وتؤدي الملاحظة الدقيقة للظواهر أو الأحداث إلى جمع الكثير من البيانات والمعلومات المرتبطة بالظاهرة المدروسة.

¹ طاللة لامية: نظريات الإعلام، مطبوعة بيداغوجية، جامعة الجزائر3، 2022/2021، ص 3.

² محمد عبد الحميد: البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، القاهرة، 2004، ص 19

3. **التحليل والتفسير:** عملية تحلل البيانات المجمعّة تساعد على فهم العلاقات بين المتغيرات والتحقق من الفرضيات. ويُستخدم النموذج التفسيري لتقديم توضيح أو شرح للظاهرة المدروسة.

4. **التحقق والبرهنة:** إن المعرفة العلمية تعتمد على البراهين والأدلة القائمة على التجارب والدراسات الميدانية. لذا يجب أن تكون هذه البراهين قابلة لإعادة اختبارها، وقابلة أيضا للتحقق منها من قبل الآخرين.

5. **وجود متغيرات:** لا بد من وجود مجموعة من المتغيرات التي تساعد في وصف الظاهرة والعلاقات بين المتغيرات المختلفة والعناصر المرتبطة بالظاهرة المرصودة.

6. **الأدلة والبيانات العلمية:** تستند النظرية إلى الأدلة والبيانات العلمية المجمعّة من خلال التجارب والدراسات والبحوث العلمية. هذه البيانات تستخدم لاختبار وتأكيد صحة الفرضيات والنماذج التفسيرية.

7. **التنبؤ والتطبيق:** وتسمح النظرية العلمية بعملية التنبؤ بالظواهر مستقبلا، مما يعني إمكانية استخدام النظرية لتوجيه البحث وتطوير التقنيات وحل المشكلات العملية المستقبلية.

الفرضية العلمية:

إضافة إلى لما قلناه سابقا فإن النظرية العلمية مهمة من أجل تطوير البحث العلمي فهي تعمل على توجيه الباحث في البحوث والدراسات العلمية. من خلال مساعدته في تحديد الأسئلة المهمة والفرضيات التي يجب اختبارها. وعليه فإن النظريات تساهم في تطور المعرفة والعلوم.

تعريف الفرضية:

يعرف البعض الفرضية على أنها تخمين لحل المشكلة وإيجاد العلاقة بين متغيرين أو أكثر في ضوء ملاحظة المبحوثين³. معنى هذا أن الفرضية العلمية تعد تصورا أوليا أو استنتاجا مبدئيا يتم وضعه لشرح ظاهرة أو حدث معين. حيث يتم استخدام الفرضية كنقطة انطلاق للبحث العلمي. ويتم اختبار صحتها من خلال الدراسة الميدانية.

ومنه يمكن القول أن الفرضية هي التصورات المبدئية التي تُقدم كتنفسير محتمل للظاهرة المدروسة. وتعتمد النظرية على مجموعة من الفرضيات التي يتم اختبارها وفحصها بواسطة التجارب، من خلال البيانات التي يتم جمعها.

خصائص الفرضية العلمية:

1. تعتبر الفرضية افتراضاً مبدئياً وليس نتيجة نهائية
2. أن تخضع الفرضية للاختبار بواسطة التجارب أو الأبحاث العلمية.
3. أن تكون الفرضية منطقية ومعقولة.

³ محمد عبد العال النعيمي، عبد الجبار توفيق البياتي، غازي جمال خليفة: طرق ومناهج البحث العلمي، الوراق للنشر والتوزيع، عما، 2015، ص 51.